- السنة الأولى ليسانس

- المقياس: فقه اللغة.

- تطبيق

- فوج (1+2).

- أ/د . موسى شروانة.

- مفاهيم المصطلحات الثلاثة في المدخل:

1- مصطلح فقه اللغة:

أ- مفهوم المصطلح في القديم:

1- مفهومه عند ابن فارس:

نص من كتابه الصاحبي:

"قال الشيخ أبو الحسين أحمد بن فارس(ت395 هـ):

هذا الكتاب" الصاحبي" في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها.

وإنما عنونته بهذا الاسم لأني لما ألفته أودعته خزانة الصاحب الجليل كافي الكفاة- تجملا بذلك وتحسنا، إذ كان ما يقبله، مرضيا مقبولا، وما يرذله أو ينفيه منفيا مرذولا، ولأن أحسن ما في كتابنا هذا مأخوذ عنه ومفاد منه. فأقول:

إن لعلم العرب أصلا وفرعا:

أما الفرع فمعرفة الأسماء والصفات كقولنا:

رجل وفرس، وطويل وقصير.

وأما الأصل فالقول على موضوع اللغة وأوليتها ومنشئها، ثم على رسوم العرب في مخاطباتها، وما لها من الافتنان تحقيقا ومجازا.

والناس في ذلك رجلان: رجل شُغل بالفرع فلا يعرف غيره، وآخر جمع الأمرين معا، وهذه هي الرتبة العليا، لأن بها يُعلم خطاب القرآن والسنة، وعليها يعول أهل النظر والفُتيا.

والذي جمعناه في مؤلفنا هذا مفرق في أصناف العلماء المتقدمين، رضي الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء. وإنما لنا فيه اختصار مبسوط، وبسط مختصر،أو شرح مشكل أو جمع متفرق." ص5

- تحليل النص في علاقته بمفهوم المصطلح.

أوضح ابن فارس في نصه أنه ألف كتابه وجعل عنوانه:

"الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها"

هذا العنوان ينطوي على بعض الإشكال،ولكي يفهم كاملا بتركيبته المكونة له ومنه مفهوم مصطلح (فقه اللغة) الوارد فيه، فإنه من الأهمية تفكيك هذه التركيبة إلى عناصرها ثم الوقوف بالتحليل عند كل عنصر منها فيما يلي:

1- كلمة(الصاحبي) **يشير بها ابن فارس إلى الصاحب بن عباد الذي كان صديقا حميما له؛ ويحظى عنده كوزير بمكانة مرموقة وتقديرا منه له وللصداقة المتينة بينهما فقد أهداه كتابه ليجعله في خزانته تجملا وتحسنا كما أشار إلى هذا بقوله:**

"إنما عنونته بهذا الاسم لأني لما ألفته أودعته خزانة الصاحب الجليل... تجملا بذلك وتحسنا".

2- مفهوم المصطلح:

مصطلح(فقه اللغة) في الجزء الثاني من العنوان لا يشمل الجزء المتبقي منه وهو"سنن العرب في كلامها"؛لأن هذا الجزء معطوف بالواو على الجزء الأول(فقه اللغة) وهو يشير إلى وجود فرق بينه وبين الجزء المتبقي من العنوان.

فمصطلح(فقه اللغة)وهو يمثل(الأصل) تبعا لتقسيمه دراسة اللغة إلى(أصل وفرع) يختص بدراسة جانبها التاريخي والحضاري وذلك بالبحث عن أوليتها ونشأتها وتطورها كما هو واضح من قوله:

" وأما الأصل فالقول على موضوع اللغة وأوليتها ومنشئها ثم على رسوم العرب في مخاطباتها...".

أما القسم الآخر ويسميه(الفرع)فيختص بدراسة الخصائص التعبيرية لهذه اللغة وقد عبر عن هذه الخصائص التعبيرية بقوله:"وما لها من الافتنان تحقيقا ومجازا".

ومن المفيد هنا الإشارة إلى أن الجانب المتعلق بالخصائص التعبيرية أخذ حيزا كبيرا من حجم كتابه عرض فيه لمسائل عديدة ومتنوعة منها النحوية والصرفية والصوتية والدلالية والبلاغية وغيرها.

وبناء على ما تقدم فإن دراسة اللغة العربية تشمل عنده قضاياها العامة وخصائصها التعبيرية.

وهو يرى أن الأصل والفرع في هذه الدراسة يتكاملان والدارس الحذق هو من يحرص على أن يتناول الجانبين معا لأنه بذلك يصل إلى المرتبة العليا في دراسته لها.

والغاية من دراسة اللغة من جوانبها المتعددة والمختلفة هي- في نظره- فهم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والعلم بهما معا كما في قوله:

" لأنه لا يكاد يجد منه في كتاب الله- شيئا فيخرج إلى علمه... ويقل مثله أيضا في ألفاظ رسول الله (صلعم)...".

2- مفهوم المصطلح عند الثعالبي:

قال أبو منصور الثعالبي(ت429هـ):

" من أحب الله تعالى أحب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب ومن أحب العربية التي بها نزل الكتب، على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها...إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد... ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائلها ودقائقها، إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان، لكفى بهما فضلا يحسن فيهما أثره.

وقد اخترت لترجمته،وما أجعله عنوان معرفته، ما اختاره أدام الله توفيقه من (فقه اللغة)وشفعته(بسر العربية) ليكون أسما يوافق مسماه،ولفظا يطابق معناه...".

- تحليل النص في علاقته بمصطلح فقه اللغة:

في هذا النص المقتطع من مقدمة طويلة لكتاب(فقه اللغة وسر العربية)،يتحدث الثعالبي من السياق الذي جعله يؤلف كتابه؛ وهو يتضمن جملة من القضايا هي كالآتي:

1- أن تأليف هذا الكتاب جاء للتعبير عن حبه للغة العربية، وحب هذه اللغة هو جزء من الدين والإيمان بالله، وبرسوله الكريم (صلعم).

2- أن اللغة العربية هي أداة لفهم الدين وفهم القرآن والحديث النبوي الشريف.

3- ارتباط محتوى الكتاب وتقسيماته بالأهداف السابقة،وهي خدمة اللغة ومن وراء هذه الخدمة هي فهم الدين من خلال القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

4- التصريح بأن عنوان كتابه قد اختير بعناية ليكون معبرا ودالا عما يريد أن يحققه من أهداف،وهو يتكون من جزئين: الأول هو(فقه اللغة)،والثاني هو (سر العربية).

ومن الملاحظ أن هذا العنوان شبيه إلى حد كبير بعنوان كتاب ابن فارس

فالشبه الأول يتمثل في مصطلح(فقه اللغة)،والثاني يتمثل في(سر العربية)وهو اختصار لتعبير "سنن العرب في كلامها".

ومن هذا يتضح لنا أن الثعالبي قد تأثر بابن فارس في صياغة عنوان كتابه، وهو في هذا التأثر قد عمل على تأكيد الاستخدام للمصطلح في الدراسة اللغوية. وحين ندقق فيما قصده بمصطلح فقه اللغة بربطه بمحتوى الكتاب فإننا نجده يعني به الجانب المعجمي،حيث جمع في هذا الجانب العديد من الألفاظ، وصنفها في مجالات أو حقول دلالية مثل جمع الألفاظ التي تبدأ بـ (كل)ولذلك سمي(الكليات)ومن أمثلته:

- كل ما علاك وأظلك فهو سماء.
- كل أرض مستوية فهي صعيد.
- كل حاجز بين الشيئين فهو مُؤبِق.
- كل بناء مربع فهو كعبة.
- كل بناء عال فهو صرح.

ومثل الألفاظ التي تبدأ بـ(أوائل الأشياء وأواخرها)منها فصل في سياقة الأوائل مثل:

- الصبح: أول النهار.
- الغسق: أول الليل.
- الوسميُّ: أول المطر.

- البارِض: أول النبت.

- اللُّماع: أول الزرع.

- اللِّباء: أول اللبن.

- السُّلاف: أول العصير.

- الباكورة: أول الفاكهة.

- الطليعة: أول الجيش.

- البِكر: أول الولد.

وكل حقل من هذه الحقول جعله في باب وتحت كل باب عدد من الفصول وهكذا.وما قام به في هذا الجانب يمثل القسم الأول من الكتاب، أما الجزء المتبقي من العنوان وهو(سر العربية) فقد خصه بالحديث عن الخصائص التعبيرية للغة العربية وذلك على غرار ما فعل ابن فارس كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وهو يمثل (القسم الثاني) من الكتاب، ولكن حديثه عن الخصائص التعبيرية في هذا القسم جاء أقل حجما من حديثه عن القسم الأول.

ومما سبق يتضح لنا أن مصطلح فقه اللغة أطلقه على ما جمعه من ألفاظ اللغة العربية أما(سر العربية) فقد عنى به الخصائص التعبيرية لهذه اللغة، وهي كثيرة ومتنوعة، ومن الأمثلة التي أوردها على الخصائص قوله:

- فصل في الفعل يأتي بلفظ الماضي وهو مستقبل وبلفظ المستقبل وهو ماض.

- قال الله عز ذكره: أتى أمر الله؛ أي يأتي.

- قال جل ذكره: " فلا صدَّق ولا صَلَّى " أي لم يصدق ولم يصل.

- وقال عز من قائل في ذكر الماضي بلفظ المستقبل وفي القرآن" وكان الله غفورا رحيما " أي كان ويكون وهو كائن الآن، جل ثناؤه.

- وفصل في المفعول يأتي بلفظ الفاعل.

- تقول العرب: سر كاتم: أي مكتوم.

- ومكان عامر أي معمور.

- قال تعالى: " خلق من دافق" أي مدفوق.

وهذان الجانبان يتكاملان في دراستها وهما يؤديان في النهاية إلى خدمتها وخدمة الدين والعقيدة الإسلامية كما أشرنا من قبل.

ب- مفهوم المصطلح في الحديث:

استمر تداول مصطلح (فقه اللغة) بين الدارسين وأخذ مكانته بين المصطلحات اللغوية في العصر الحديث، ولكن تداوله فيما بينهم بالمفهوم القديم الذي رأيناه عند ابن فارس، والثعالبي لم يكن محل اتفاق ويمكن إيجاز المواقف منه فيما يلي من خلال النصوص:

1- عند عبد الواحد وافي وصبحي الصالح، ومحمد المبارك:

فعبد الواحد وافي ألف كتابه(فقه اللغة) وصرح في مقدمته بأنه سوف يقصر حديثه فيه على فقه اللغة بالمفهوم العام الذي يتناول قضاياها العامة وخصائصها التعبيرية، ولكنه لم يلتزم بوعده وتناول جوانب خارجة عما تناوله العرب كما لاحظ ذلك عليه أحمد محمد قدور بقوله:

"والدليل على عدم التزامه أن العنوان(فقه اللغة)ليس فقه اللغة العربية، وأن قسما كبيرا من بحوث الكتاب يدور حول اللغات السامية وخصائصها".

وهو في هذا الكتاب يسوي في المفهوم بين مصطلح (فقه اللغة) و(علم اللغة).

وقد ذهب إلى مثل هذه التسوية كذلك صبحي الصالح في كتابه(دراسات في فقه اللغة) كما صرح عن هذا بقوله:

"وإنه ليحلو لنا أن نقترح على الباحثين المعاصرين ألا يستبدلوا بهذه التسمية القديمة شيئا وأن يعمموها على جميع البحوث اللغوية لأن كل علم لشيء فهو فقه، فما أجدر هذه الدراسات جميعا أن تسمي فقها".

وقد شاطر محمد المبارك زميليه في كتابه(فقه اللغة) حيث رأى أنه لا يوجد فرق بين فقه اللغة، وعلم اللغة كما في قوله:

" أن علم اللغة بهذا المفهوم الذي بسطناه والذي آل إليه الأمر في تطور البحث اللغوي نرى أن نطلق عليه أحد الاسمين(علم اللغة) أو (فقه اللغة) وكلاهما يفيد المقصود وينطبق على المفهوم العلمي لباحث اللغة".

2- عند عبد الصبور شاهين وعبده الراجحي:

هذان الدارسان يعارضان تسوية مصطلح(فقه اللغة) بمصطلح(علم اللغة) لأن لكل منهما خصوصية في مفهومه ولا يجوز تسوية أحدهما بالآخر وبيان رأي كل منهما نجده في بعض ما قالاه.

فالأول وهو عبد الصبور وشاهين كشف عن معارضته بقوله:

" فإن هناك فرقا بين مفهوم المصطلحين في الثقافة القديمة والحديثة، وهو فرق ينبغي أن يراعى عند استعمال أيهما نظرا إلى أن أغلب ما بأيدينا الآن من الكتب التي تحمل عنوان(فقه اللغة) أو (علم اللغة) إنما يجري على الاستعمال الحديث وهو اعتبار العنوان الأول خاصا بدراسة اللغة العربية وخصائصها على حين يستخدم الثاني استخداما شاملا في كل ما يتصل بالعربية وغيرها من اللغات من فصيلتها أو من غيرها".

2 - أما الثاني عبده الراجحي فقد قال:

" عرفت الدراسات اللغوية في جامعاتنا مصطلح فقه اللغة ثم عرفت مصطلح علم اللغة ولم يسلم استعمال المصطلحين من خلط أدى إلى اضطراب في فهم كل علم وفي تحديد ميدانه؛فرأينا من يكتب كتابا في فقه اللغة، وهو يعنى علم اللغة".

2- مصطـلح عـلم اللــغة:

عرف هذا المصطلح في التراث العربي وكان يستخدم بالمعنى العام في دراسة اللغة كما أوضح ابن خلدون بقوله:

"هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية..."ويقصد بالموضوعات دراسة النحو والصرف، وتراكيب اللغة وألفاظها، وظواهر أخرى مثل الترادف والمشترك والدخيل وغيرها.

وعرف أيضا في العصر الحديث مع ظهور كتاب: فرديناند دي سوسير "محاضرات في علم اللغة العام" الذي طبع سنة 1916 بعد وفاته بثلاث سنوات أي في سنة 1913م.

وفي هذا الكتاب حدد الميدان الذي يدرسه علم اللغة، بقوله:

" إن موضوع علم اللغة الصحيح والوحيد هو اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها" كما جاء في ترجمة عبده الراجحي.

وهو يقصد أن الموضوع الذي يعالجه(علم اللغة) هو اللغة ذاتها وليس شيئا آخر، ولا ترتبط هذه اللغة بلغة معينة كالفرنسية والانجليزية أو العربية أو غيرها من اللغات، وإنما اللغة كظاهرة اجتماعية بصفة عامة، وهي تظهر بصورة فعلية في أشكال مختلفة كما أوضح الدكتور:محمود السعران في كتابه(علم اللغة).

هذا هو مجال(علم اللغة) أما الغاية من هذا العلم فهي أنه يدرس اللغة في ذاتها، وهو لا يدرسها لأغراض تربوية أو لأغراض عملية أخرى أو تصحيح جوانب منها أو تعديل آخر" كما يقول محمود السعران، وإنما يدرسها لذاتها.

أما منهج دراستها فهو المنهج الوصفي،وآلية هذا الوصف هي تحليلها إلى أربعة مستويات هي:

- **المستوى الصوتي.**
- **المستوى الصرفي.**
- **المستوى النحوي.**
- **المستوى الدلالي.**

وهذه المستويات هي التي يجري العمل بها في دراستها، وإن كان بعض الدارسين يضيفون إليها مستويات أخرى، ولكن هذا لا يخل بمنهجها العلمي الذي حدده فرنديناند دي سوسير في كتابه.

3- الفيـــلولـوجيـا:

هذا مصطلح مركب من لفظين هما(فيلوس fhilos)ومن معانيها الحب أو الصداقة ومن(لوقوس LOGOS)ومعناها الكلام أو اللغة والمعنى الإجمالي هو حب الكلام أو اللغة.

لقد شاع هذا المصطلح في الدراسات اللغوية عند الغربيين قبل ظهور مصطلح (علم اللغة)، وهو يعني عندهم(فقه اللغة)، وهو بهذا المفهوم يقابل مصطلح (فقه اللغة) في التراث العربي مع وجود فارق بينهما.

حظي هذا المصطلح باهتمام عند الدارسين وفي حديثهم عنه أوضحوا أن مجاله واسع وشامل في دراسة اللغة حيث يشمل الثقافة والتاريخ، والعادات والتقاليد كما جاء عند ماريو باي: Mario Pei في كتابه(أسس علم اللغة) بقوله:

"أن موضوع(الفيلولوجيا)لا يختص بدراسة اللغات فقط، ولكن يجمع إلى ذلك دراسة تشمل الثقافة والتاريخ والتقاليد والإنتاج الأدبي للغات، موضوع الدراسة".

وفي هذا ما يوضح المجال الذي تختص به الفيلولوجيا فهو مجال تاريخي واسع في دراسة اللغة،وهذا الاتجاه التاريخي في دراستها كان شائعا قبل نهاية القرن التاسع عشر،وحين ظهر كتاب(محاضرات في علم اللغة العام)لفرديناند دي سوسير تغير طابعها التاريخي،وأصبح طابعا وصفيا وتبعا لهذا التغير تغيرت غايتها فبعد أن كانت غايتها تاريخية حضارية ثقافية صارت غايتها محددة ومحصورة فيما تختص به كلغة تدرس في ذاتها ولذاتها كما أشرنا من قبل عند تحليل مقولة:(دي سوسير).

نهاية.